بسم الله الرحمن الرحيم

خطبة الجمعة 5-8-2011م الشيخ الطبيب محمد خير الشعَّال

((حقوق الإنسان في الإسلام))

الحمد لله.. الحمد لله ثم الحمد لله..

الحمد لله نحمده، ونستعين به ونستهديه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، وصفيه وخليله، خير نبيٍّ اجتباه، وهدى ورحمة للعالمين أرسله.

أرسله ربنا بالهدى ودين الحق، ليظهره على الدين كلّه، ولو كَرِه الكافرون، ولو كَره المشركون، ولو كَره مَن كَرِه، اللهم صلّ على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

أما بعد.. فيا عباد الله: أوصيكم ونفسي بتقوى الله تعالى، وأحثكم وإياي على طاعته وأستفتح بالذي هو خير :

قال الله تعالى: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: 85].

وقال سبحانه: ﴿ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ [طه: 114]

وقال سبحانه: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: 9]

وقال جل من قائل: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾[المجادلة: 11]

قال صلى الله عليه وسلم: ((من سلك طريقاً يطلب فيه علماً سَلَك الله به طريقاً من طرق الجنة)) [أبو داود والترمذي]

وروى ابن عبد البر عن أبي ذر –رضي الله عنه– قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

((لأن تغدو فتتعلم باباً من العلم خير من أن تصلي مائة ركعة)).

عنوان خطبة اليوم:

(حقوق الإنسان في الإسلام)

أيها الإخوة:

هذا تقرير عن كتاب من مجموعة كتب تتحدث في السياسة الشرعية التي هي القسم الخامس من أقسام الفقه الإسلامي.

عنوان الكتاب: (**حقوق الإنسان في الإسلام**)

اسم المؤلف: **الدكتور محمد عمارة.**

وهذا الكتاب واحد من إصدارات سلسلة عالم المعرفة الدورية الثقافية الشهرية الشهيرة التي يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب في الكويت، وقد صدر الكتاب سنة (1985م).

المؤلف الدكتور محمد عمارة: مفكّر إسلامي من مواليد مصر (1931م)، مؤلف ومحقّق وعضو في مجمع البحوث الإسلامية، وله إنتاج علمي غزير زاد على الستين كتاباً، بين تأليف وتحقيق ودراسة، وتُرجِم عددٌ من أعماله إلى اللغات الإنكليزية والإسبانية والروسية.

جاء الكتاب (**حقوق الإنسان في الإسلام**) في مائة وثمانين صحيفة، موزعة على مقدمة وإحدى عشر فصلاً.

افتتح المؤلف كتابه بكلمات بدأها بآيات ثم أحاديث ثم أقوال لأصحاب دين ودنيا، فاستهل بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء:70]

﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون:8]

﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ [القصص:5]

ثم بالحديث القدسي: ((يا عبادي، إني حَرَّمتُ الظُّلمَ على نفسي، وجعلتُه بينكم محرَّماً، فلا تَظَالَموا)) [مسلم والترمذي]

ثم بأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم: ((مَنْ قُتلَ دُونَ مالهِ فهو شهيد، ومَنْ قُتِلَ دُونَ دَمِهِ فهو شهيد، ومن قُتلَ دون دِينه فهو شهيد، ومن قُتلَ دُونَ أهْلهِ فِهو شهيد)) [الترمذي وأبو داود]

((اتقوا الظلم، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة)) [مسلم]

((أيما أهلُ عرصة أصبح فيهم امرؤ جائع فقد برئت منهم ذمة الله)) [أحمد والحاكم]

ثم يقول سيدنا عمر –رضي الله عنه– (**لا تضربوا الناس فتذلوهم، ولا تحرموهم فتكفروهم، مذ كم تعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا**) [كنز العمال].

وختم بقول سيدنا علي –رضي الله عنه– (**إن الغنى في الغربة وطن، والفقر في الوطن غربة، والفقر يُخرس الفَطِن عن حجّته، والمقلّ غريب في بلدته**).

وتكلم المؤلف في الفصل الأول عن حقوق الإنسان، وأنها ضرورات واجبة، وليست مجرد حقوق، وفي الثاني عن ضرورة الحرية، وفي الثالث عن ضرورة الشورى، وفي الرابع عن ضرورة العدل، وفي الخامس عن ضرورة العلم، وتحدث عن ضرورة الاشتغال بالشؤون العامة في فصل، وعن ضرورة المعارضة في فصل آخر، وتحدث عن شبهات في فصل، وختم بفصل تحدث فيه عن وثائق عدَّها نماذج تُظهر موقف الإسلام من حقوق الإنسان.

وفكرة الكتاب قائمة على اعتبار المؤلف الإسلام بلغ في الإيمان بالإنسان وفي تقديس حقوقه إلى الحد الذي تجاوز بها مرتبة الحقوق عندما اعتبرها ضرورات، ومن ثم أدخلها في إطار الواجبات.

فالمأكل والمشرب والملبس والمسكن والأمن والحرية في الفكر والاعتقاد والتعبير، والعلم والتعليم والمشاركة في صياغة النظام العام، والمراقبة والمحاسبة لأولياء الأمور... كل هذه الأمور هي في نظر الإسلام ليست حقوقاً وحسب، يطلبها الإنسان ويسعى في سبيلها ويحرم صدّه عنها، بل هي ضرورات لهذا الإنسان، بل هي واجبات عليه.

ثم راح المؤلّف يتحدث عن بعض هذه الحقوق الضرورات كلٍّ في فصل خاص.

وها أنا أقرأ عليكم اختياراً من اختياراته في فصله الأخير الموسوم بـ (**الوثائق**):

عندما نقل عهد سيدنا علي بن أبي طالب –رضي الله عنه– بالولاية إلى واحد من أبرز قادة جيشه – مالك بن الأشتر النخعي– عندما ولاَّه على مصر.كتب في العهد يقول:

(اعلم يا مالك، أني قد وجّهتك إلى بلاد قد جرت عليها دول قبلك من عدل وجور، وأن الناس ينظرون من أمورك في مثل ما كنت تنظر فيه من أمور الولاة قبلك، ويقولون فيك ما كنت تقول فيهم، وإنما يستدلّ على الصالحين بما يجري الله لهم على ألسن عباده.

أشعِر قلبك الرحمة للرعية والمحبة لهم واللطف بهم، ولا تكونن عليهم سبعاً ضارياً تغتنم أكلهم، فإنهم صنفان: إما أخ لك في الدين، وإما نظير لك في الخلق.

أنصف الناس من نفسك ومن خاصة أهلك ومن لك فيه هوى من رعيتك؛ فإنك إلاَّ تفعل تظلم، وليس شيء أدعى إلى تغيير نعمة الله وتعجيل نقمته من إقامة على ظلم، فإن الله سميع دعوة المضطهدين وهو للظالمين بالمرصاد.

وليكن أحب الأمور إليك أوسطها في الحق وأعمّها في العدل وأجمعها لرضى الرعية؛ فإن سخط العامة يجحف برضى الخاصة، وإن سخط الخاصة يُغتفَر مع رضى العامة، وليس أحد من الرعية أثقل على الوالي مؤونةً في الرخاء وأقل معونةً له في البلاء من أهل الخاصة، وإنما عماد الدين وجماع المسلمين والعدة للأعداء العامة من الأمة، فليكن إصغاؤك لهم وميلك معهم، وليكن أبعد رعيتك منك وأشنأهم عندك أطلبهم لمعايب الناس؛ فإن في الناس عيوباً الوالي أحق من سترها، فلا تكشفنّ عما غاب عنك منها، فإنما عليك تطهير ما ظهر لك والله يحكم على ما غاب عنك.

إن شرّ وزرائك من كان للأشرار قبلك وزيراً، ومن شركهم في الآثام، فلا يكوننّ لك بطانةً؛ فإنهم أعوان الأثمة وإخوان الظلمة، وأنت واجد منهم خير الخلف.

ولا تنقض سنةً صالحةً عمل بها صدور هذه الأمة، واجتمعت بها الألفة وصلحت عليها الرعية، ولا تُحدِثن سنةً تضر بشيء من ماضي تلك السنن؛ فيكون الأجر لمن سنّها، والوزر عليك بما نقضت منها. وأكثِر مدارسة العلماء ومناقشة الحكماء في تثبيت ما صلح عليه أمر بلادك، وإقامة ما استقام به الناس قبلك).

ثم ذكر له سيدنا علي –رضي الله عنه– طبقات الرعية من الجنود والكتّاب والقضاة والعمّال والذميين والتجار وأهل الصناعات وذوي الحاجة والمسكنة، وكيف يتعامل مع كل طبقة منهم، ثم ختم عهده له بقوله:

(إن للوالي خاصةً وبطانةً، فيهم استئثار وتطاول وقلة إنصاف في معاملة، فاحسم مادة أولئك بقطع أسباب تلك الأحوال.

وإياك والاستئثار بما الناس فيه أسوة، والتغابي عما تعنى به، مما قد وضح للعيون، فإنه مأخوذ منك لغيرك، وعما قليل تنكشف عنك أغطية الأمور، وينتصف منك للمظلوم، وأنا أسأل الله أن يوفقني وإياك لما فيه رضاه). ا.هـ

أيها الإخوة: إنكم تقرؤون في هذه الوثيقة الإدارية السياسية الاجتماعية فوائد جمة في حقوق الإنسان، وأذكر لكم فيها اثنتين:

أولاهما: اختلاف الرعية في المعتقد الديني لا يصح أن يكون ذريعة للتمييز بينهم في الحقوق والواجبات؛ (**فإنهم صنفان: إما أخ لك في الدين، وإما نظير لك في الخلق**).

والثانية: على الدولة واجب المداخلة والتدخل لحفظ التوازن بواسطة العدل بين الخاصة والعامة، وغير متصوَّر منها أن تقف على الحياد بين الخاصة المسلَّحين بالثروة والجاه وبين العامة المنزوعي السلاح، ومن باب أولى ألاَّ تقف مع الخاصة، بل يوصي العهد بضرورة انحياز الدولة إلى العامة لأنهم عماد الدين وجماع المسلمين والعدة للأعداء.

أيها الإخوة:

هذا تقرير سمح به الوقت من كتب الفقه السياسي في الإسلام؛ كتاب حقوق الإنسان في الإسلام للدكتور محمد عمارة.

عسى الله أن ينفعنا بما سمعنا جميعاً.

والحمد لله رب العالمين